المقتطف

الجزء الخامس من المجلد السابع والثلاثين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩١٠ — الموافق ٢٩ شوال سنة ١٣٢٨

جمهورية البرتغال

لا داعي للكلام على تاريخ البرتغال فقد نشرنا فذلكة صالحة فيه منذ سنتين بُعَيد قتل الملك كارلوس وولي عهده . والغيظ الذي ابداه الناس حينئذٍ من اغتيالهِ لم يبدوهُ الآن من ثل عرش الملكية واقامة الجمهورية لا لان الرزية الثانية اخف من الاولى على الاسرة المالكة بل لان النفوس قد الفت قيام الجمهوريات ولم تأنف قتل الملوك ولو قضت الامة عليهم وكان في قتلهم مصلحة عامة لا تنال بغيره . اما قيام الجمهورية البرتغالية فكان على هذه الصورة

ساءت احوال البرتغال وتأخرت عن غيرها من الممالك التي كانت دونها ورسخ في اذهان شعبها ان السبب الاكبر لهذا التأخر هو من الاسرة المالكة ومن انقيادها لخدمة الدين ولاسيما اليزويت منهم . وبين هذا الشعب اناس كثيرون من خاصة الامة واكابر العلماء ولما لم يروا لهم سبيلاً الى اصلاح خدمة الدين الذين يشكون منهم ولا الى اقناع الاسرة المالكة باسعادهم اتفقوا على خلع الملك والمناداة بالحكومة الجمهورية وتنفيذ القوانين القاضية بابعاد الذين يحسبونهم سبباً للخلل بالبلاد من الخراب والاضمحلال . والسبب المباشر لثورة او بالشرار الذي اضرم هذه النار هو قتل طبيب اسمهُ ميمارد فانهُ قُتل غيلة وشاع حينئذٍ انهُ قُتل لاسباب سياسية لانهُ من زعماء الحزب الجمهوري فقام رجال هذا الحزب وكان معهم فريق كبير من الجنود والبحارة فنادوا بالحكومة الجمهورية ورفعوا العلم الجمهوري واطلقوا المدافع على قصر الملك . وكان الملك يحادث قائداً من قواد جيشهِ فاخبرهُ القائد ان بعض الجنود ثاروا فقام الى التلفون الذي يصل بين قصرهِ وقصر بنّا حيث تقيم امهُ

وكلها في الاسى وبعيد الظهر برح القصر على مركبة اوتوموبيل اجابةً لالحاح امهِ قاصداً قصر مافرا (وهو من اضخم المباني بناهُ يوحنا الخامس سنة ١٧١٧ وانفق على بنائهِ نصف مليون من الجنيهات) فوجد امهُ قد سبقتهُ اليهِ على مركبة اوتوموبيل . وجعلت الانباء ترد اليهِ من لسبون (العاصمة) منذرة باستفحال الثورة وتغلب الثائرين ولما بلغهُ ان الجمهورية اعلنت في البلاد وان جنودهُ خذلوهُ استسلم لليأس ونزل هو وامهُ وجدتهُ وبعض الحاشية في قاربين من قوارب الصيد وذهبوا الى اليخت البرتغالي اميليا وانضمَّ الى اليخت طرادان انكليزيان فحفارته فسار الى جبل طارق

اما الثائرون فانشأوا حكومة موقتة وصف بعضهم اعضاءها في جريدة التيمس فقال ان الدكتور برناردينو ماشادو احد اعضائها فيلسوف متبحر كان استاذاً للفلسفة في جامعة كويمبرا سنة ٨٩٠ . ودعي في عهد الملك كارلوس لتقلد نظارة الاشغال العمومية فظل في هذا المنصب مدة قصيرة وعزل منهُ لانهُ ابى ان يصادق على دفع المال لترميم السرايات الملكية واصلاحها فعاد الى التدريس في الجامعة وبقي فيها الى سنة ١٩٠٧ وفي ذلك العهد قام بنصرة بعض التلامذة على الاكليروس فتوجهت همة الاكليروس الى اعنائهِ فلم يطق البقاء واستعفى ووجه كل قواهُ لنصرة الحزب الجمهوري . وهو رجل نشيط خفيف الجسم متأنق في لبسهِ ناهز الستين من عمرهِ ومتى الاخلاق يتكلم الفرنسوية بطلاقة لسان ويقرأ الانكليزية ولكنهُ لا يحسن التكلم بها ويفاخر بمبادىء المستر غلادستون ويتحداهُ في عملهِ واذا دار الحديث على السياسة البرتغالية ابرقت عيناهُ وبدا منهُ ما يقنع الناظر اليهِ انهُ ليس من المتمرنين بالفنون الفلسفية بل يؤثر على طومهِ مبدأ امسى وهو تأييد مبادىء الجمهورية فقد صرح مرة بعد مرة انهُ لا يرجو خيراً من الملكية ونصح بوجوب العمل على تحويل البلاد الى جمهورية ولكن بالتأني والحزم واجتناب سفك الدماء . وكان في طليعة الذين قاوموا الاتفاق الانكليزي البرتغالي في العام الماضي على خليج موزنبيق ولكنهُ يجاهر بميلهِ الى انكلترا ولذلك تراهُ يصرح مع زملائهِ بوجوب تحويل المحالفة التي بين البلادين الى محالفة بين الامتين وعدم الاقتصار على جعلها بين العائلتين المالكتين . وهو ذو عائلة كبيرة يعيش في بسطة وسعة ويبثهُ في حيّ من اجمل احياء لسبن ولهُ خطب وفصول مطبوعة ذاعت وانتشرت في طول البلاد وعرضها . واذا استكمل الحزب الجمهوري مقاصدهُ اليوم فانما الفضل في ذلك عائد اليهِ لانهُ خدم الحزب خدماً جلّى رمى بها الى نيل المقاصد بطرق سلمية . وهو يؤثر بالفقراء رحيم بالمحتاجين فلما نكبت البلاد بالزلازل وزارها الملك مانويل وكانت اولى مرة لظهورهِ بين

الشعب جال الدكتور ماشادو بعده بضعة ايام في القرى المنكوبة فكان استقبال الناس له واحتفاؤهم به لا يقل عن احتفائهم بالملك . ولكنه رغماً عن لطفه وبشاشته وكرم اخلاقه كان ولا يزال اعظم عدو للملكية وما زال بها حتى قضى عليها

اما السنيور كوستا وزير الحقانية في ربيع العمر شديد العزم عظيم الامل اشتهر بتفوقه في علوم النفس وتضلعه من المحاماة وقد كان من زعماء الفتنة التي قامت سنة ١٩٠٨ وضبط وهو متلبس بالجناية وسجن وبعد مقتل الدون كارلوس باسابيع وجد معتقلاً منبر الخطابة يشرح لحضور مبادئ الجمهورية . وقد كان هو وزملاؤه في مجلس النواب اعظم عامل في سقوط الوزارات الخمس التي قامت بعد مقتل والد الملك الحالي

اما السنيور براجا رئيس الجمهورية فانه رقي الى الرئاسة بفضل ما قام به من الخدم للاكاديمية العلمية وللمؤتمر الجمهوري فهو فضلاً عن تضلعه من اللغة وامتلاكه ناصية البيان واسع البال قوي الحجة غيور يكاد يضطرم غيرة على مصلحة بلاده اسعدني الحظ بمحادثته منذ عام في شؤون البرتغال العمومية فاجابني والدموع تجول في عينيه وبصوت يكاد يختنق من البكاء ان اهل وطنه محتاجون الى من يصلح احوالهم ويحسن شؤونهم . وهو وطني لاغبار عليه ولكنه ليس بالشاب الذي امامه متسع من الآمال بالحياة والمسؤولية التي يتحملها اليوم تنوء باعبائها هم الابطال

هؤلاء هم اعظم زعماء الثورة الحاضرة وهم كما يرى القارئ رجال علم وادب اشربوا روح الوطنية الحقيقية وقد دانت لهم الاحوال من غير نصب كثير فهل لهم ان يبرهنوا على انهم قادرون على ادارة زمام الاحكام والسير بالامة في سبيل التقدم والارتقاء . انهم قائمون بعمل لم يسبق له نظير في البرتغال التي اقامت على الاخلاص والولاء لملوكها السنين الطوال . وقد خالفوا تقاليد الوف وملايين من البسطاء الذين لا يزالون موالين للملك مانويل ووالدته فاذا استطاعوا ان يسنوا قانوناً ملائماً لحالة الامة وان لا يصموا آذانهم عن شكواها وان يرقوا مصالحها الاقتصادية ويسدوا العجز البالغ قدره مليون جنيه سنوياً في الميزانية فحينئذٍ يكونون قد برهنوا على انهم اهل للنصب الذي اعتلوه والادارة التي قبضوا على زمامها . والمستقبل كفيل بكشف الخبأ . انتهى كلام مكاتب التيمس

اما خصوم هذه الثورة واخصهم الجزويت فقد كانت فاتحة اعمال الجمهورية طردهم من البلاد وقد افاضت جريدة التيمس في هذا الموضوع فقالت ما خلاصته : —

قال ذاكر التاريخ ان قانوناً يمنع [illegible] بعمل به الا بعد نحو قرن ونصف كالقانون الذي

سنّ لطرد الجزويت فان الحكومة الحاضرة اصدرت امراً في الثامن من اكتوبر قالت فيه « ان القانون الذي سنّ في ٢٨ اغسطس سنة ١٧٥٧ ثم فسر في ٣ سبتمبر سنة ١٧٥٩ وبه يؤمر الجزويت بالخروج من البرتغال وممتلكاتها حالاً يعمل به الآن كقانون من قوانين الحكومة الجمهورية »

والكراهة للرهبنات في البرتغال وفي غيرها من البلدان سببها الاكبر انكراهة للجزويت ولا بدع فان الجزويت رهبنة تهاجم وتخاصم ولا تكتفي بالدفاع مثل غيرها من الرهبنات . وقد كان هم مؤسسها موجهاً الى البرتغال بنوع خاص لانهُ من المملكة المجاورة لها ولان واحداً من الستة الذين اجتمعوا معهُ لانشاء رهبنتهُ كان برتغالياً . وقد رحب الملك يوحنا الثالث بهذه الرهبنة في البرتغال قبلما اقرّها البابا بولس الثالث سنة ١٥٤٠ ولم يمضِ عليها وقت طويل حتى صار لها سطوة عظيمة وصار اعضاؤها يعرفون الملوك وذويهم فصارت ضمائر الملوك بيدهم وطوع ارادتهم . ولكن ازدياد سلطتهم اقام عليهم اعداء كثيرون من رجال الدين ومن رجال السياسة فحرمهم الملك يوحنا الخامس من المراقبة على كلية كويمبرا . ولكن الضربة الاليمة جاءت من مركيز بمبال وهو اعظم سياسي قام في البرتغال وكان اول من حاول الفصل بين الكنيسة والحكومة فانهُ طرد الجزويت من بلاط الملك يوسف الاول . ابتدأ بطرد الراهب الذي كان يعترف الملك ثم منع كل الجزويت من دخول البلاط وجمع الشكاوي التي كانت ترفع عليهم وبعث بها الى البابا بندكتس الرابع عشر فاوفد البابا الكردينال سلدنها الى البرتغال ليزور هذه الرهبنة ويصلحها وكانت نتيجة زيارته انهُ منع الجزويت من المتاجرة ثم منعهم اساقفة البرتغال من الوعظ وسماع الاعتراف

وحدثت المكيدة المعروفة بمكيدة تافورا سنة ١٧٥٨ فاشتد حنق الحكومة على الجزويت بسببها والمرجح انهُ كان لهم شركاء فيها من عظماء البلاد مثل دوق اڤيرو فقبض على ثمانية من الجزويت بتهمة محاولتهم قتل الملك وحجزت املاك الجزويت كلهم وطردوا من البرتغال وبرازيل والهند وهاك ترجمة الامر الصادر بطردهم

« واصرح بانهم (اي الجزويت) فقدوا الرعوية البرتغالية وحرموا وتقوا . وآمر بنفيهم من مملكتي ومستعمراتي وان لا يعودوا اليها ابد الدهر »

والجزويت لا يرضخون لحكم احد فاستمروا على عنادهم الى ان امر البابا اكليمنضس الرابع عشر بالغاء رهبنتهم وذلك سنة ١٧٧٣ . فاستراحت البرتغال منهم ٦٢ سنة ولكن البابا بيوس السابع اعادهم سنة ١٨١٤ فعادوا الى البرتغال في زمن ميجول الرجعي وعادت ادارة جامعة

كويمبرا الى يدهم سنة ١٨٣٢ ولكن لم يطل ذلك عليهم لان الوزارة الحرة التي قامت سنة ١٨٣٤ اصدرت امراً بنفيهم ثم عادوا سنة ١٨٦٠ ويقوا في البلاد الى الآن . وقد حاول الملك كارلوس ابطال ما لهم من السطوة والنفوذ وكاد يعيد امر تبال بطردهم من البلاد سنة ١٩٠١ ولكن يدهم كانت اقوى من يده ثم زادت قوة وجرأة في زمن مانويل الملك الاخير فلما تمّ عرشهُ الآن وقبضت الامة على ازمة الاحكام لم تكتفِ بطردهم حسب منطوق القانون القديم بل اضافت اليهِ بنداً قالت فيهِ انهُ يجب ان تختم كل املاك الرهبنات حالاً ويكتب بها كشف فما يخص الجزويت منها يصير ملكاً حلالاً للحكومة وما يخص سائر الرهبنات ينظر في امرهِ بعد حين حسب ما يكون من العلاقة بين الحكومة والكنيسة . انتهى

ولم يكد الجزويت يخرجون من البرتغال حتى قصد كثيرون منهم بلاد البروتستانت المراطقة لكي يحموا فيها من اضطهاد اخوانهم الكاثوليك اهل بلادهم بل ان ملك البرتغال نفسهُ قصد الاحتماء بالبروتستانت المراطقة والماسون الملاعين

لتوالي الحوادث وتكرر العبر ويكتب الدهر على صفحات التاريخ بحروف يراها الاعمى كما يراها البصير ان الامم التي خلعت نير الخرافات والاوهام ارتقت وسادت والامم المكبلة بسلاسلها لا تزال ترسف في قيود الذل والهوان ومع ذلك يكابر المكابرون ويحظ المتعنتون ويتناسون عبر الزمان

ويظهر من الاخبار التي طيّرها الينا البرق بعد كتابة ما تقدّم ان بعض خدمة الدين من الاساقفة ونحوهم رضوا بالحكومة الجمهورية . وسبيلهم ان يرضوا اذا كانت قد قامت بارادة الامة لان الامة هي صاحبة السيادة الحقيقية ولها وحدها ان تسلّم زمام امورها لمن تشاء . وخدمة الدين المسيحي مأمورون امراً صريحاً بان يتخضعوا في امورهم الزمنية لمن في يدهم السلطة الزمنية . واذا استمرّت الجمهورية في البرتغال رغماً عن مقاومة اهل الرهبنات لها فذلك اقطع دليل على ان الامة البرتغالية قد رأت من فسادهم ما ابعد قلبها عنهم وازال سلطتهم عنها فعسى ان يعتبروا بذلك ويقتصروا على ما ينفع الامم ولا يضرها

ولا بدّ من فصل السلطة السياسية عن السلطة الدينية في تلك البلاد كما هما مفصولتان في كل الممالك المرتقية وذلك اصلح للسلطتين معاً واكفل بمصالح الناس الزمنية والدينية معاً . واذا لم تصلح الحكومة الجمهورية فلا يكون العيب فيها بل يكون سببهُ ان الامة غير مستعدة لها